الباب الثامن عشر

في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في « صحيحه » من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتُم المؤذنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ، فإنهُ من صلَّى عليَّ صلاةً [واحدة] صلَّى اللهُ عليهِ عشْراً ، ثمّ سَلُوا ليَ الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبغي إلا لعبدٍ من عِبادِ اللهِ وأرجُو أن أكونَ أنا هُوَ ، فمنْ سأل ليَ الوسيلةَ حلتْ عليه الشفاعة »[1] .

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صليتمْ عليَّ فسألوا اللهَ ليَ الوسيلةَ . قيلِ : يا رسولَ اللهِ، وما الوسيلةُ ؟ قال : أعلى درجةٍ في الجنةِ لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ، وأرجُو أنْ أكونَ أنا هُوَ »[2] هكذا الرواية : « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا تكون أنا فصلاً، ولا توكيداً ، بل مبتدأ .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حينَ يسمعُ النّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هذهِ الدعوةِ التامةِ، والصّلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن ، وأبو داود (٥٢٣) في الصلاة : باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، والترمذي (٣٦١٢) في المناقب، باب فضل النبي ﷺ . الوسيلة : ما يتقرب به إلى الله تعالى من صالح القول والعمل، وقد جاء في الحديث أنها منزلة من منازل الجنة .

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٦٥ .

الوسيلةَ والفضيلةَ ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذي وعدتَهُ ، إلا حلتْ له الشفاعة يومَ القيامة »[1] .

هكذا لفظ الحديث : « مقاماً » بالتنكير ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعيّن وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف[2] من جعل «الذي وعدته» بدلاً، فتأمله.

وفي « المسند » من حديث عمارة بن غزية ، عن موسى بن وردان، عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلةُ درجةٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلّ ، ليسَ فوقَها درجةٌ ، فسلوا اللهَ ليَ الوسيلةَ»[3].

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه : « درجةٌ في الجنةِ ليس في الجنةِ درجةٌ أعلى منها ، فسلُوااللهَ أنْ يؤتَينيهاعلى رؤوس الخلائقِ » .

وقال أبو نعيم ، أنبأنا سليمان بن أحمد : حدثنا أحمد بن عمرو بن سلم الخلال ، حدثنا عبدالله بن عمران العبادي ، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله، واللهِ إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وأحبُّ إلي من كذا ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيكَ، فأنظرَ إليكَ ، وإذا ذكرتُ موتي وموتَكَ ؛ عرفتُ أنكَ إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيين ، وإني إذا دخلتُ الجنةَ خشيتُ أن لا أراك ، فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ حتى نزل جبريلُ بهذه الآيةِ : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم مِنَ النبيينَ

---

(١) أخرجه البخاري: (٦١٤) في الأذان: باب الدعاء عند النداء، والذي في مسلم الحديث السابق (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٩) في الصلاة: باب ما جاء في الدعاء عند الأذان، والترمذي (٢١١) في الصلاة: باب (١٥٧).

المقام المحمود: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة، لأن الخلائق يحمدون ذلك المقام.

(٢) في هامش الأصل : لفظ

(٣) أخرجه أحمد ٣/٨٣

والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحسنَ أولئكَ رفيقاً ﴾[1] [النساء : ٦٩].

قال الحافظ أبو عبدالله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً.

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقربُ الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ : « الوسيلة » من القرب، وهي فعيلة : من وسل إليه : إذا تقرب إليه .

قال لبيد :

بلى كلُّ ذي رأي إلى الله واسلُ [2]

ومعنى الوسيلة : من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً .

قال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : تدرون لِمَ حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها، وقال الحكم بن أبان : عن عكرمة، عن ابن عباس : نوَّر سقفَ مساكنهم نورُ عرشه.

وقال بكر، عن أشعث، عن الحسن : إنما سميت عَدَن ، لأن فوقها العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور، والقُربى والزُّلفى : واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل .

قال الكلبي : واطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كلّ الكشف بقوله : ﴿ **أولئكَ الذينَ يَدْعونَ يَبتغُون إلى رَبِّهم الوسيلةَ أيُّهمْ أقربُ** ﴾ [الإسراء : ٥٧] فقوله : أيهم أقرب، هو تفسير للوسيلة

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» ٢٦/١، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٧ وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العبادي وهو ثقة، وزاد نسبته للطبراني في «الأوسط»، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٨٢/٢ ونسبه إلى ابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والضياء في «صفة الجنة» وحسنه.

(٢) عجز بيت في «ديوانه» ص: ١٣٢ وفيه: لب، بدل: رأي.

التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله، فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر [النبي] ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى من الله ، وزيادة الإيمان .

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب، منها : دعاء أمته له[1] بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه .

فقوله: «حلت عليه[2]» يروى: «عليه» و« له » فمن رواه باللام : فمعناه حصلت له ، ومن رواه بعلى ، فمعناه وقعت عليه شفاعتي . والله أعلم .

---

(١) في هامش الأصل : لربها .

(٢) أي في ص ١١٥ أول الباب.